

دلائل الإعجاز

هذه فصول شتى في أمر اللفظ والنظم فيها فضل شحد للبصيرة وزيادة كشف عما فيها من السريرة .

فصل " البلاغة ليس مرجعها إلى العلم باللغة بل العلم بمواضع المزاي والخصائص " .
وغلَطُ الناس في هذا الباب كثيرٌ فمن ذلك أنَّكَ تجدُ كثيراً ممن يتكلمُ في شأن البلاغة إذا ذُكِرَ أنَّ للعربِ الفضلَ والمزيَّةَ في حُسنِ النظمِ والتأليفِ وأن لها في ذلك شأواً لا يبلغُهُ الدُّخلاءُ في كلامهم والمولِّدون جعلَ يعلِّلُ ذلك بأنَّ يقولَ : لا غروَ فإنَّ اللغةَ لها بالطَّبعِ ولنا بالتكلُّفِ ولن يبلغَ الدُّخيلُ في اللغاتِ والألسنةِ مبلغَ مَنْ نشأ عليها وبدأ مِنْ أولِ خَلْقِهِ بها . وأشباهُ هذا مما يُؤوهِمُ أنَّ المزيَّةَ أتتْها من جانبِ العلمِ باللغة وهو خطأٌ عظيمٌ منكَرٌ يُفْضِي بقائله إلى رَفْعِ الإعجازِ من حيثُ لا يعلمُ وذلكَ أنه لا يَثْبُتُ إعجازٌ حتى تثبُتَ مَزايَا تفوقُ علومَ البشرِ وتقصُرُ قوى نظرتهم عنها ومعلوماتُ ليس في مُذَنِّ أفكارهم وخواطيرهم أن تُفْضِيَ بهم إليها وأن تُطلعَهم عليها . وذلكَ محالٌ فيما كان علماءً باللغة لأنَّه يُؤدِّي إلى أن يُحدثَ في دلائلِ اللغةِ ما لم يتواضَعْ عليه أهلُ اللغةِ وذلكَ ما لا يخْفَى امتناءهُ على عاقلٍ .

واعلمُ أنَّما لم يوجبِ المزيَّةَ من أجلِ العلمِ بأنفسِ الفروقِ والوجوهِ فنستندُ إلى اللغةِ ولكننا أوجبناها للعلمِ بمواضعها وما ينبغي أن يُصنَعَ فيها . فليس الفضلُ للعلمِ بأنَّ الواوِ للجَمعِ والفاءِ للتَّعقيبِ بغيرِ تراخٍ " و ثم " له بشرطِ التَّراخي . و " إنَّ " لكذا و " إذا " لكذا